المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية – جامعة سيدي بلعباس
ISNN : 2170-0060 EISSN : 2602-523X
المجلد 12 -- العدد 01 -- جويلية 2020 ص 184 - 200

مساهمة الرواية الشفوية في تدوين الدراسات التاريخية

The Contribution of the Oral Novel in Documenting Historical Studies

د. علي عيادة D.Ali Ayada ali.ayad63@yahoo.com	تاريخ الحديث والمعاصر	جامعة جيلالي ليابس -سيدي بلعباس-الجزائر
د. طعبه حوريه D.Taaba Houria taaba.his@yahoo.com	تاريخ الحديث والمعاصر	جامعة أحمد دراية –أدرلر-الجزائر
ط.د. نبيل جابري Doctorant. Nabil Djabiri nappavitch@yahoo.fr	تاريخ الحديث والمعاصر	جامعة العربي التبسي - تبسة-الجزائر

DOI:

الإرسال: 2020/01/28 **القبول**: 2020/06/01 **النشر**: 2020/07/15

ملخص

وجد التاريخ الشفوي أو ما يسمى بالرواية الشفوية منذ القدم، فقد أرخ (هيردوت) شفويا من خلال ما روي له وأكد ذلك في آثاره التاريخية، بعد ذلك كانت السير والمغازي وصولا إلى ظهور الوثائق والطباعة، ولا زالت الرواية الشفوية إلى اليوم -رغم الابتكارات الجديدة- تلعب دورا بارزا في ملء الفراغات التي لم تصفها الوثائق التاريخية أو تذكرها، إضافة إلى إبراز دور الطبقات المهمشة والمنسية عبر التاريخ، لذا أضحت الرواية الشفوية متممة للوثائق في دراسة الحوادث التاريخية لما لها من أهمية رغم عدم التسليم المطلق بتناولها في الدراسات التاريخية، لذا وجب إتباع مجموعة من الضوابط التي بفضلها يمكن الاعتماد على الروايات الشفوية كمصدر من مصادر كتابة التاريخ بصفة عامة، والتاريخ الوطني بصفة خاصة، مثل: تاريخ الثورة التحريرية، وذلك من خلال الشهادات الحية وتوثيق الجرائم المرتكبة في حق الشعب الجزائري ويتم ذلك بفضل التغلب على العوائق التي تواجه الرواية الشفوية خاصة عندما تتوفر الوثيقة، وتبقى المقابلة من أهم صور الرواية الشفوية، لها مجموعة من الضوابط والمزايا والعيوب التي يجب علينا التفطن إليها.

الكلمات المفتاحية: الرواية الشفوية؛ الحوادث التاريخية؛ الشهادات الحية؛ المصادر الشفوية؛ المقابلة.

Abstract

The oral history, or the so called oral narration, has existed since the dawn of time dating back to Herodotus. The latter has based his narrations on the oral narratives of the period which was highlighted in many of his writings. Then, biographies and memoirs were implemented leading to the emergence of printing and documents. However, the oral novel, despite new innovations, still has a preeminent role in filling in the blanks left out by the historical documents. Besides stressing the role of marginalized classes, oral narratives have provided a complimentary interpretation to document studies; therefore, they have been used as a source of writing down history; national history of the Algerian revolution in particular which is rather based on the live witnesses and documented war crimes against the Algerian people. However, in order to overcome the obstacles faced when attempting an interpretation of an oral novel, a set of guidelines has to be considered, especially when the document is available. It is also noteworthy that the interview remains one of the most viable forms of the oral novel with a number of instructions, regularities and disadvantages that the researcher has to be cognizant of.

Keywords: Oral narration; Historical incidents; live witnesses; Oral sources; the interview.

مقدمة

يتكون التاريخ من وقائع حدثت مرة واحدة وإلى الأبد، لأن التاريخ يقوم على الزمان وأول خاصية من خصائص الزمان عدم قابلية الإعادة لأن صفته الاتجاه قدما دون تراجع أو تخلف أو تكرار، ومهمة المؤرخ أن يسترد ما كان في الزمان لا ليتحقق فعليا ولكن يحاول أن يستفيد في الذهن وبطريقة عقلية صرفة ما جرت عليه الحوادث التاريخية، ويحيا تجارب الماضي كما حدثت في نوع من التخيل يقوم على أساس ما خلفته الأحداث الماضية من آثار بنوع من التركيب والتحليل والسرد، ويكون ذلك بقدرة المؤرخ على النفوذ وراء الآثار الغابرة المتباعدة(عبد الرحمان بدوي،1977، ص183) .

فالتأريخ لا يمكن أن يكون إلا على أساس من الوثائق، وهذه الوثائق تنقسم إلى آثار أو مخلفات خطية، أو روايات أو نقوش ... وغيرها من المصادر والمراجع، ولهذا فالخطوة الأولى هي البحث عن الوثائق الكافية أو الممكن إيجادها بحادث من الأحداث التاريخية ولو نظرنا في هذه الوثائق لوجدناها على نوعين: النوع الأول هو الآثار أو الأشياء المصنوعة (كل ما خلفه الإنسان من لقى أثرية وعمران ومباني جنائزية وغيرها...)، والنوع الثاني هو الآثار الكتابية التي قد تكون وصفا لحادث تاريخي أو قد تكون رواية عيانية

لهذا الحادث أو قد تكون مجرد جمع روايات عيانية وغير عيانية لهذا الحادث التاريخي(عبد الرحمان بدوي،1977، ص186) .

أما النوع الأول فلا يؤدي كثيرا إلى الأخطاء لأنه أثر مادي يتكافأ مع مؤثر حقيقي فعلي مثل الأبنية والمعادن وغيرها، أما في حالة النوع الثاني من الوثائق فالأمر عسير لأنه عبارة عن آثار متخلفة في نفسية إنسان عن حادث من الأحداث، والإنسان بطبعه حر متغير كثير التأثر يخضع لعوامل عدة ويتأثر بها بطرق مختلفة وعلى أنحاء متعددة، فضلا على أن لديه دواعي عدة للتحريف أو التزييف أو الوقوع في الخطأ أو مجرد الوهم، ومن هنا فإننا سنكون أمام محاولة شاقة لكتابة هذه الأحداث وصحتها ومقدار الصدق في نقلها إلى آخر المسائل المتعلقة بصحة هذه الروايات(عبد الرحمان بدوي،1977، ص187).

لكن رغم ذلك فمن الصعب على الباحث في التاريخ المعاصر، أو أي مؤرخ يريد التأريخ لحقبةٍ معاصرةٍ أن يتجاهل الاعتماد على روايات من عاشوا في هذا العصر، وإلاَّ كانت دراسته تنقصها الدقة، فقد أضحت الرواية الشفوية لازمة ومهمة وشاهدة على العصر مع الأخذ بعين الاعتبار أن الباحث عندما يعتمد على تلك الروايات ألاَّ يعتبرها بديلاً عما ورد في الوثائق والمصادر التاريخية الأخرى لأي سببٍ من الأسباب؛ بل يعد الرواية الشفوية داعمةً لتلك الوثائق والمصادر، إلا في حالة انفرادها بذكر خبر أو حادثة لم يرد ذكر لها في الوثائق أو المصادر التاريخية (عبد الحميد جمال الفراني وناهض محمود إبراهيم محسن، 2007، ص03).

لذا يمكن أن نطرح التساؤل التالي: **هل تمكن الرواية الشفوية المؤرخ من مقاربة تاريخية هادئة بعيدا عن الأحكام المسبقة والخلفيات الأيديولوجية والقراءة السطحية للأحداث والوقائع التاريخية؟**

ماهية الرواية الشفوية

يعد التاريخ الشفوي منهج بحث مهمته دراسة الماضي من خلال الكلمة المحكيّة المحفوظة في الذاكرة الإنسانية، والمنقولة مشافهةً من خلال روايات الأفراد وذكرياتهم عن أحداث حياتهم وخبراتهم ومشاهداتهم، خاصةً تلك التي شاركوا فيها شخصياً، أو

كانوا مجرد شهود عيان عليها(**عبد الحميد جمال الفراني وناهض محمود إبراهيم محسن، 2007، ص03**).

والواقع أن التاريخ الشفوي أو إن جاز القول الرواية الشفوية وُجد منذ القدم، ولا زالت الكلمة المحكية وسيلة ضرورية لنقل المعلومات والأخبار والتجارب من جيلٍ إلى جيل، ورغم الابتكارات الجديدة التي تطل علينا يوماً بعد آخر، خاصةً اختراع وسائل الطباعة، ما زال الناس حول العالم يستخدمون الرواية الشفوية في نقل المعلومات والأخبار والمعارف (محمد حبيدة، 2013، ص48).

لذا نقول أن الرواية الشفوية هي تسجيل ذكريات الناس وتجاربهم في الماضي القريب بطريقة تختلف عن المادة المكتوبة، معتمدا على المحادثة المنضبطة بين شخصين، وتتخذ المحادثة شكل المقابلة(مجموعة مؤلفين، 2015، ص248).

أهمية الرواية الشفوية في الدراسات التاريخية المعاصرة

يمكن القول بصفة إجمالية، أنّ الاهتمام بالتاريخ الشفوي كحقل جديد في حقول البحث التاريخي، ومنهج بحثي يتيح للمؤرخين اكتشاف عوالم معرفية وتاريخية جديدة ظلت لعقود حكراً على أهل السوسيولوجيا والأنثربولوجيا، لكن إعطاء الكلمة للمحجوبين عن التاريخ المكتوب والمهمشين في قاع المجتمع، سيسهم في الاشتغال الأكاديمي بالتاريخ الاجتماعي وتاريخ العقليات وتاريخ الحياة اليومية، بحس تاريخي نقدي (موضوعي)، يلج من خلاله المؤرخ إلى دوائر ومواقع اجتماعية لا يكشف عنها النص المكتوب(حسام هاب، 2014، على الخط، www.mominoun.com).

لذا باتت الرواية الشفوية من الضرورات للباحث في تدوين التاريخ المعاصر لأية أمة أو شعب، فقد أضحت متممة ولازمة لتوكيد ما ورد في الوثائق الرسمية التي صدرت عن الحكومات أو الوثائق غير الرسمية كذلك، إلاَّ أنه لا يجب على الباحث المؤرخ أن يعد تلك الرواية بديلاً عما ورد في الوثائق لأي سببٍ من الأسباب؛ فقد يداخل الراوي الهوى، فيذكر ما يحلو له من وقائع مع بعض المبالغة، خاصةً إذا كان مثلا مناوئاً أو مساندا لسياسة حكومته التي وقعت في زمنها تلك الأحداث(**عبد الحميد جمال الفراني وناهض محمود إبراهيم محسن، 2007، ص06**).

كما تحتل الرواية الشفوية مكاناً بارزاً في معظم الدراسات التاريخية، وتكمن أهميتها في أنها تستقي معينها من أشخاص عاصروا معظم تلك الأحداث، ويمكن الاعتماد على التاريخ الشفوي كمنهجٍ بحث، غايته دراسة الماضي من خلال الكلمة المحكيّة المحفوظة في الذاكرة الإنسانية والمنقولة مشافهةً من خلال روايات الأفراد وذكرياتهم عن أحداث عاصروها، وخبراتهم ومشاهداتهم، خاصةً تلك التي شاركوا فيها شخصياً، أو كانوا مجرد شهود عيان عليها(**عدنان أحمد أبو شبيكة، ص490**)، غير أن ذلك لا يعني التسليم المطلق بتناول الرواية الشفوية في الدراسات التاريخية، نظراً لِما قد تحتويه من أخطاء تؤدي بالباحث للوقوع في مزالق لا يسلم منها تاريخياً، بعدما تستهويه رواية ما فيقبلها دون تمحيص لها، والواجب علينا قبول الروايات الشفوية على اختلاف توجهاتها بشيءٍ من الحذر والدقة، من غير مبالغة (ناهد حمدي أحمد، 2001، ص132، 135).

لذا فالمؤرخون عامةً متحيزون للمصادر المكتوبة والآثار المتبقية، فالرواية الشفوية تبدو المواقف منها متباينة، وبعض المؤرخين يرفضون الاعتراف بها كمصدرٍ من مصادر المعرفة التاريخية وذلك لسببين:

- **الأول:** اعتمادها على الذاكرة التي هي عُرضة للقصور والخطأ.

- **الثاني:** أن التاريخ الشفوي وتحديداً تاريخ الحياة هو عمليات تجري على الأحياء في حين أن التاريخ هو دراسة الماضي (أسامة محمد أبو نحل ،2006، على الخط، www.thaqafa.org).

الثالث: إن الرواية الشفاهية عرضة للتغيير والتبديل، والإنسان عرضة للنسيان، وقد تخونه الذاكرة أو يخلط بين الأحداث، أو ينحاز لجهة معينة أو رأي أو فكر يؤمن بهما.

لهذا لا بد من دراسة الراوي نفسه، ولا بأس أن نطبق على الرواة شيئًا يسيرًا من منهج المحدثين، ولا بأس أن يقوم المؤرخ بدور المحقق الذي يستجوب الشهود من أجل الوصول إلى الحقيقة (عبد الله بن إبراهيم العسكر، 2020، على الخط: www.alukah.net)، وفي هذا السياق يجب تحري الدقة فيما يُنقل على لسان الرواة، وإلاّ فقد تفقد الرواية الشفهية أهميتها، بل قد تكون وبالاً على المتلقي.

والمهم في الروايات الشفوية أنها أكملت وما زالت تكُمل ما تجاهلته الوثائق الرسمية أو المصادر التاريخية والاجتماعية السابقة، فتلك الوثائق أو المصادر أخبرتنا بالكثير عن حياة المشاهير والعظماء والمتنفّذين، وعن الحوادث الكبرى في التاريخ، لكنها تعمدت وتجاهلت الناس العاديين ومساهماتهم التي كان لها دورا بارزا في صنع تلك الأحداث، وبما أن التاريخ عامةً يدونه مؤرخو الحكومات المختلفة، حيث يدونون إنجازات تلك الحكومات فإن الرواية الشفوية وُجدت لتعطي المهمشين حقهم، ولتملأ الفراغ الذي تركه هؤلاء المؤرخون، كما أن المصدر الشفهي ضرورة علمية لفهم حقائق التاريخ المتمثلة فيما تركه السلف من أعمال ومخطوطات ووثائق وسجلات وعادات وتقاليد وطقوس دينية... (عبد الله بن إبراهيم العسكر، 2007، ص89).

كما تتيح الرواية الشفوية للمؤرخ توسيع مجال البحث والدراسة، من خلال الاستماع إلى شهادات وروايات صانعي الأحداث والفاعلين فيها، والذين لم يظهر صوتهم في زمن سيطرة الإعلام والصورة، ويفتح الباب أيضاً للتفكير في إعادة الاعتبار للفرد بصفته فاعلاً تاريخيا(محمد مجاود، 2012، ص07) .

إضافة إلى أن أهمية التاريخ الشفوي تكمن في كونه يسهم في استخراج تصورات وتمثلات الفرد مهما كانت مكانته الاجتماعية، ويسهم في خلق تقاطعات معرفية بين الثقافة العامية والثقافة العالمة الأدبية، وذلك عبر الفهم التاريخي العميق للحياة اليومية للإنسان من السلوكيات الفردية والجماعية إلى طقوس وتقاليد وأعراف الشبكات الاجتماعية والقبائل والمجموعات البشرية، وبعبارة أخرى إنّ هذا الحقل التاريخي يفتح الباب للبحث في تاريخ النساء والعاطلين والمهاجرين والمعاقين والجانحين؛ أي مجموع الأقليات والشرائح المطحونة أو المفتش عليها والتي طمس (مؤرخ السلطة) أو التاريخ الرسمي دورها في المشهد اليومي للمجتمع (مجموعة مؤلفين، 2015، ص19).

كما يظهر جلياً، أنّ التاريخ الشفوي جاء ليسد فراغات الإسطوغرافيا الوطنية وبياضاتها من خلال التركيز على المهمشين والناس العاديين والقابعين في سفح الهرم الاجتماعي، وبذلك أصبح (تاريخاً مناضلاً) معاكساً للتاريخ الكلاسيكي لكونه ركّز على المغيبين في التاريخ المكتوب، وتكمن أهمية التاريخ الشفوي في ملء الفراغ وسد ما ضاع من وثائق مكتوبة أو ما صدر من طرف السلطات الاستعمارية والتي تعتبر إرثا ثقافيا مهما

تعكس إلى حد ما جزءا لا يستهان به من تاريخ نضال الشعوب المستعمرة، فهو يعتبر مصدرا للمعلومات الناجمة عن ما تبقى من ذكريات الناس حول الكثير من المسائل التاريخية تخص جميع ميادين حياتهم(محمد مجاود، 2012، ص10، 11) .

لكن أهم ميزة في التاريخ الشفوي هي كونه حقلاً إسطوغرافياً متجدداً؛ فبالأمس القريب اهتم بشرائح الفلاحين، والعمال الصناعيين والحرفيين اليدويين والعاطلين والنساء والخارجين عن القانون، وكل ما له علاقة بالهامشية، أمّا اليوم فالتاريخ الشفوي يهتم بالأقليات العرقية والإثنية والدينية والسياسية(مجموعة مؤلفين، 2015، ص250).

مع تركيز خاص على ضحايا الحروب الأهلية أو الحروب بين الدول أو عنف الدول، وبصفة عامة العنف الاجتماعي والسياسي.

أيضا تضيف الرواية الشفوية خبرات شخصية إلى السياق التاريخي العام بشكله الأوسع فالتاريخ الشفهي أداة فعّالة للاكتشاف والاستكشاف والتقويم للذاكرة التاريخية، حيث يتم رصد الوعي الاجتماعي بالتاريخ لدى الأشخاص، وآليات ربطهم لتجربتهم الفردية بسياقهم الاجتماعي، وكيف يصبح الماضي جزءًا من الحاضر.

وإذا أخذنا في الاعتبار أن التاريخ الشفوي مصدر مكمّل يحدد أو يصحح الوقائع التي وثقتها المصادر التقليدية، وفى ظل عدم توفر الوثائق لأسباب تتعلق بالمدة القانونية للاطلاع أو لأنها فقدت، يستدعى ذلك أحيانًا الاعتماد على الشهادات والروايات الشفهية لاعتبارات أنها ستكون المصدر الأساسي للتوثيق التاريخي (عبد الحميد جمال الفراني وناهض محمود إبراهيم محسن، 2007، ص08).

وتكمن أهمية التاريخ الشفوي أيضا في أنه يعيد التوازن إلى عملية كتابة التاريخ من خلال إيلاء الاهتمام بأفعال الفئات الدنيا والمتوسطة وتجارب الناس العاديين ورؤية الفئات المهمشة أو المقاضاة عن الحيز السياسي والاجتماعي العام (صلاح هنية، 2006).

كما يكتسب أهمية خاصة كمصدر رئيسي للمعلومات والأحداث والفئات التي لا يلتفت لها المؤرخ الرسمي، الأمر الذي أدركه علماء التاريخ ونتيجة لذلك اتجهوا

لدراسة مساحات أخرى من الحياة الإنسانية ومن ثم اكتشفوا مصادر أخرى للمعلومات، أو إعادة بناء التاريخ من الأسفل (التاريخ الآتي من القاع) (مجموعة مؤلفين، 2015، ص250).

أما على الصعيد الإنساني، تستخدم المصادر الشفوية كأداة قيمة من أجل تحسين أوضاع المواطنين الذين أصبحوا قانطين، ولديهم شعور بأن المجتمع لم يعد في حاجة إليهم، وذلك بإشعارهم بأنهم مصدر هام أو ذاكرة الماضي(ناهد حمدي أحمد، 2001، ص132، 135).

ومن خلال الروايات الشفوية أنتج الباحثون في علم الإنسان أعمالا أساسية أبرزت ميزات القصص الشفوية، وقد أظهرت عدة دراسات حديثة أن التاريخ الشفوي يستطيع إلقاء الضوء على عناوين نظرية مثل الذاكرة، الأمة، الهوية إضافة إلى الماضي الجماعي، كما يوجد انعكاس جوهري لهذه الأعمال وهو أن الروايات الشفوية لها قيمتها ليس فقط عندما تعكس الأحداث الماضية بدقة بل لأنها تعبر عن شيء من العلاقة بين الماضي والحاضر، وبهذه الطريقة فهي تشبه المصادر التاريخية الأخرى، وبالتالي فهي ليست في العادة غير دقيقة، تماماً مثل المواد المؤرشفة التي يجب أن تدرس في ظروف إنتاجها بعقلانية(صلاح هنية، 2006).

وخلاصة القول، أن جمع الروايات الشفوية وتوثيقها عمل بالغ الأهمية، لأنه يحفظ خبرات وتجارب كانت ستُنسى أو تتحول في أحسن الأحوال إلى أساطير وخرافات بفعل تناقلها مشافهةً من شخصٍ إلى آخر، ومن جيلٍ إلى جيل، والرواية الشفوية إذا أُحسن استخدامها فسوف تشكّل مصدراً لا يقل أهمية ولا دقة عن المصادر المكتوبة، مع مراعاة تحري الدقة فيما يُنقل على لسان الرواة، وإلاَّ فقد تفقد الرواية الشفوية أهميتها(عبد الحميد جمال الفراني وناهض محمود إبراهيم محسن، 2007، ص36).

ضوابط الرواية الشفوية

ينبغي للمؤرخين المعتمدين على التاريخ الشفوي الانتباه إلى ثلاثة محاور واضحة وأساسية:

- الدلالات اللغوية خلال المقابلة.
- الدلالات الأدائية خلال المقابلة.

- العلاقة أو الرابطة بين وعي الفرد والوعي الاجتماعي للمؤرّخ **(أمنية عامر، 2005)**.

وهنا لا يمكننا إغفال تأثير الثقافة والإيديولوجيا العامة السائدة في تشكيل وعي وذاكرة الفرد (سواء المتحدّث أو المتلقّي)، كما أن لها تأثيرها على تضارب وخصوصية بنية من يقدّم شهادته للتاريخ بل ومن يتلقّاها أيضًا، ومن هنا تأتي مناقشة خلافية أخرى عن مدى قيمة التاريخ الشفوي وشرعيته**(عدنان أحمد أبو شبيكة، 2010، ص355)**.

كما يجب تحري الدقة فيما يُنقل على لسان الرواة، وإلاّ فقد تفقد الرواية الشفوية أهميتها وقد تكون وبالاً على المتلقي، حيث نسمح بذلك للبعض بنقل روايات إما تافهة أو مختلقة سوف تتناقلها الأجيال على ما فيها من عيوبٍ ونقص**(عبد الحميد جمال الفراني وناهض محمود إبراهيم محسن، 2007، ص03)**.

وعليه فإن من واجب الباحث الذي يتقصى الحقيقة، أن لا يدفعه تحمسه لقبول روايةٍ بعينها لمجرد أنها لاقت هوىً في نفسه، فلا بد من تدقيقها وتمحيصها؛ وإن شكَّ في صدق روايةٍ ما فعليه تجنبها، حتى لا تُحسب عليه، فهو المسؤول أولاً وأخيراً عما أورده من أحداثٍ تاريخية.

وحتى يتسنى للباحث الاعتماد على الشهادات الحية الشفوية، يجب مراعاة ما يلي:

-أن يكون الشاهد قد عايش الحدث التاريخي وانخرط فيه.

- حرية التعبير السائدة في المجتمع والقدرة على قول الحقيقة بتفاصيلها.

- التحضير الجيد للمقابلة مع توفير الجو النفسي والمادي اللائقين لتجاوز العقبات التي يمكن أن تقف أمام نجاحها وتقلل من مصداقيتها مع استعمال وسائل التسجيل إن أمكن ذلك.

- أن يكون الباحث ملما بموضوع محل الدراسة إلماما واسعا.

- أن يملك الباحث القدرات المعرفية والمهارات التقنية اللازمة لمحاورة الناس ومناقشتهم.

- نقد المصادر الشفوية والتدقيق من صحتها وتجريديها من التكثيرات الذاتية، لأنه يمكن لها أن تكون غير دقيقة وغامضة نظرا لاضطراب الذاكرة بالنسبة للمتقدمين في السن، كما أنها لا تخلو من العاطفة، حيث أن صاحبها بطبعه يميل إلى تضخيم الأنا من خلال إبراز دوره والتقليل من دور الآخرين.
- الحرص على التعرف إلى مقاصد الفاعل التاريخي، أي محاولة معرفة نواياه الصادقة.
- نقل المصدر الشفوي إلى مصدر مكتوب بعد مقارنته مع المصادر الأخرى(محمد مجاود، 2012، ص13، 14).

المشاكل التي تواجه الرواية الشفوية

يمكن حصر المشاكل التي تعترض البحث استنادا إلى الروايات الشفوية في النقاط التالية:

أولاً: مشكلة متصلة بسلطة الوثيقة المكتوبة الجاثمة على صدر المؤرخين، ولذلك فإنّ المؤرخ يجد نفسه أمام تحدٍ منهجي كبير ألا وهو جمع الشواهد الشفهية ومقابلتها بالشواهد المكتوبة وضبط سياقاتها الزمنية في الوقت الذي يمنح فيه الكلمة للذين لم يكن بإمكانهم تاريخياً التعبير بشكل أدبي عن قضاياهم كالفلاحين والنساء والأقليات والمهمشين(حسام هاب، 2014، على الخط، www.mominoun.com).

ثانياً: مورفولوجية الحكي، إذ يكون على الباحث التمييز داخل هذه المورفولوجية بين المروي الحقيقي والمروي غير الحقيقي كالأساطير والحكايات التربوية الموجهة للأطفال، والحكايات المبتكرة، مثل السرد الفكاهي، وسرد قصص الحيوان، ومما يزيد من صعوبة تناول هذه المرويات أنّ الحدود بين ما هو حقيقي وما هو متخيل هي حدود ضبابية وغير قارة.

ثالثاً: مشكلة مرتبطة بالزمن، وتحديداً بالكرونولوجيا، وفي واقع الأمر تشكل الكرونولوجيا نقطة ضعف كبيرة في التاريخ الشفوي، خاصة أنّ الراوي في كثير من الأحيان يفتقد الحس الزمني اللازم الذي من شأنه أن يمنح لكلامه معنى زمنياً(حسام هاب، 2014، على الخط، www.mominoun.com).

المعيقات والعيوب:

المعيق الأساسي في الرواية الشفوية عدم مأسسة هذا العمل واعتماد المبادرات الفردية الأمر الذي منع بلورة منهج للعمل ضمن هذا الحقل، يضاف إلى ذلك عدم وضوح دور الجامعات في مجال التاريخ الشفوي واعتماد منهج للعمل فيه، وتدريب كفاءات في هذا المجال، واعتماد تقنيات خاصة به، ومصادره، وكيفية إعداد الشهادة الشفوية والإفادة منها(صلاح هنية، 2006).

ومن الأشياء السيئة التي ترد في سياق المصادر الشفوية، نرى التشهير والقذف والإساءة إلى السمعة، وهي أمور تحدث أيضاً في الوثائق المكتوبة أو في العلاقات الإنسانية، وكثيراً ما يظهر في المصادر الشفوية ميل المتكلم إلى الإفراط في الرفع من دوره والإقلال من شأن الآخرين، وعلى ذلك ومهما كان قدر مساهمة المستودع الأرشيفي في المشاركة في إنتاج المصادر الشفوية فهو مسؤول عن تحسس مواضع الأشياء الزائفة[38].

لذا فالعوائق التي تواجه المؤرخ في التعامل مع الروايات الشفوية تستلزم منه التعامل مع التاريخ الشفوي بحس نقدي، من خلال المقارنة بين الرواية الشفوية والنص المكتوب والمصادر الأخرى، والتسلح بالأدوات المنهجية النقدية للأنثربولوجيا والسوسيولوجيا وتوظيفها من أجل قراءة تاريخية "موضوعية" للتاريخ الشفوي(ناهد حمدي أحمد، 2001، ص132، 135).

صور الرواية الشفهية:

من صور وأدوات الرواية الشفوية نجد المقابلة كأداة لجمع الحقائق والبيانات(**محمد عبد العال النعيمي وآخرون، 2009 ص182**)، فما هي ماهية المقابلة؟

هناك تعريفات كثيرة للمقابلة من بينها:

إنها تفاعل لفظيٌّ (حوار) بين شخصين(الباحث والمستجيب) في موقف مواجهة؛ يبدأ الحوار بخلق علاقة وئام بينهما، حيث يحاول أحدهما وهو الباحث القائم بالمقابلة أن يستثيرَ بعض المعلومات أو التعبيرات لدى الآخر وهو المبحوث والتي تدور حول آرائه ومعتقداته والوصول إلى حقيقة أو موقف معين يسعى الباحث للتعرف عليه من أجل تحقيق أهداف الدراسة، فهناك بيانات ومعلومات لا يمكن الحصول عليها إلاَّ بمقابلة الباحث للمبحوث وجهاً لوجه ولا تتوفر عادة في المصادر، ففي مناسبات متعدِّدة يدرك الباحث ضرورة رؤية وسماع صوت وكلمات الأشخاص موضوع البحث (ربحي مصطفى

عليان، 2000، ص101).

وحيث يجب أن يكون للمقابلة هدفٌ محدَّد فلهذا تقع على الباحث الذي يجري المقابلة واجبات رئيسة:

- أن يخبرَ المستجيبَ عن طبيعة البحث.
- أن يحفزَ المستجيبَ على التعاون معه.
- أن يحدِّدَ طبيعة البيانات والمعلومات المطلوبة.
- أن يحصلَ على البيانات والمعلومات التي يرغب فيها(أحمد شلبي، 1992، ص78).

كما يعد الطالب نفسه إعدادا تاما لهذه المقابلة بتنظيم الأسئلة التي سيطلب الإجابة عنها والنقاط التي يريد استيضاحا لها، لأن المقابلة بحد ذاتها تعتبر فنا من الفنون، وأن وضع أسئلتها وبرنامج خاص بها يعتبر أكثر من فن(محمد عبد العال النعيمي وآخرون، 2009 ص182).

وتمكِّن المقابلة الشخصيَّة الباحثَ من ملاحظة سلوك الأفراد والمجموعات والتعرُّف على آرائهم ومعتقداتهم، وفيما إذا كانت تتغيَّر بتغيُّر الأشخاص وظروفهم، وقد تساعد كذلك على تثبيت صحَّة معلومات حصل عليها الباحث من مصادر مستقلَّة أو بواسطة وسائل وأدوات بديلة أو للكشف عن تناقضات ظهرت بين تلك المصادر(محمد عبد الفتاح حافظ الصيرفي، ص170، 171).

ويمكن تقسيم المقابلة في الدراسات الاجتماعية والإنسانية والاقتصادية وفقاً لنوع الأسئلة التي يطرحها الباحث إلى:

- المقابلة المقفلة: وهي التي تتطلَّب أسئلتها إجاباتٍ دقيقة ومحدَّدة، فتتطلَّب الإجابة بنعم أو بلا، أو الإجابة بموافق أو غير موافق أو متردِّد، ويمتاز هذا النوع من المقابلة بسهولة تصنيف بياناتها وتحليلها إحصائياً.
- المقابلة المفتوحة: وهي التي تتطلَّب أسئلتها إجاباتٍ غير محدَّدة، والمقابلةُ المفتوحة تمتاز بغزارة بياناتها، ولكن يؤخذ عليها صعوبة تصنيف إجاباتها.
- المقابلة المقفلة - المفتوحة: وهي التي تكون أسئلتها مزيجاً بين أسئلة النوعين السابقين أي أسئلة مقفلة وأخرى مفتوحة فتجمع ميزاتِهما، وهي أكثر أنواع المقابلات شيوعاً(عبد الله محمد الشريف، 1996، ص129) .

وتصنَّف المقابلة بحسب أغراضها إلى أنواعٍ من أكثرها شيوعاً الأنواع التالية: الاستطلاعيَّة(المسحيَّة)، المقابلة التشخيصيَّة، المقابلة العلاجيَّة، المقابلة الاستشاريَّة **(محمد عبد الفتاح حافظ الصيرفي، ص167، 169).**

وهناك عوامل رئيسة ومهمَّة تساعد في الحصول على بيانات ومعلومات دقيقة بالمقابلة على الباحث أخذها باعتباره عند استخدامها، من أبرزها:

- تحديد الأشخاص الذين يجب أن تُجْرَى المقابلةُ معهم بحيث يكونون قادرين على إعطائه المعلومات الدقيقة، وأن يكون عددهم مناسباً للحصول على بيانات ومعلومات كافية.
- وضع الترتيبات اللازمة لإجراء المقابلة بتحديد الزمان والمكان المناسبين، ويستحسن أن تُسْبَق المقابلة برسالة شخصيَّة أو رسميَّة أو بواسطة شخص ثالث تمهيداً للمقابلة.
- إعداد أسئلة المقابلة ووضع خطَّة لمجرياتها ليضمن حصوله على المعلومات والبيانات المطلوبة، مع ضرورة الأخذ بالاعتبار مرونة بالأسئلة إذْ قد تفاجئه معلومات لم يتوقَّعها**(محمد عبد الفتاح حافظ الصيرفي، ص169، 170).**
- إجراء مقابلات تجريبيَّة تمهيداً للمقابلات الفعليَّة اللازمة للدراسة.
- التدرُّب على أساليب المقابلة وفنونها لكي يكسب المستجيبين ولا يثير مخاوفهم ولا يحرجهم ويحصل على إجابات دقيقة وناجحة.
- التأكُّد من صحَّة المعلومات التي توفِّرها المقابلات بتلافي أخطاء السمع أو المشاهدة وأخطاء المستجيب للزمن والمسافات، وأخطاء ذاكرة المستجيب، وأخطاء مبالغات المستجيب وخلط المستجيب بين الحقائق واستنتاجاته الشخصيَّة.
- إعداد سجلٍّ مكتوبٍ عن المقابلة بأسرع وقت ممكن، فلا يؤخِّر الباحثُ ذلك إذا لم يتمكَّن من تسجيل المقابلة في حينها، فهو عرضة للنسيان والخلط بين إجابات المستجيبين وعليه أن يستأذن المستجيب بتدوين إجاباته ويخبره بأهميَّتها في دراسته، فقد يرتكب الباحث أخطاءً بعدم الإثبات أو بالحذف أو بالإضافة أو بالاستبدال بسبب تأخير التسجيل، ولا شكَّ في أنَّ التسجيلَ بجهاز تسجيل يعطي دقَّة أكبر، ولكنَّ استخدام ذلك قد يؤثِّر على المقابلة (مروان عبد المجيد إبراهيم، 2000 ص172).

وللمقابلة مزايا نذكر منها:

تظهر للمقابلة كأداة لجمع البيانات والمعلومات لدى الباحث القدير على استخدامها بشكل علميٍّ وموضوعيٍّ في إجرائها وتدوينها وتحليل بياناتها مزايا أبرزها ما يأتي:

- أنَّها أفضل أداة لاختبار وتقويم الصفات الشخصيَّة.
- أنَّها ذات فائدة كبيرة في تشخيص ومعالجة المشكلات الإنسانيَّة.
- أنَّها ذات فائدة كبرى في الاستشارات.
- أنَّها تزوِّد الباحث بمعلومات إضافيَّة كتدعيمٍ للمعلومات المجموعة بأدوات أخرى.
- أنَّها قد تستخدم مع الملاحظة للتأكُّد من صحَّة بيانات ومعلومات حصل عليها الباحث بواسطة استبيانات مرسلة بالبريد.
- أنَّها الأداة الوحيدة لجمع البيانات والمعلومات في المجتمعات الأميَّة.
- أنَّ نسبة المردود منها عالية إذا قورنت بالاستبيان(عبد الله محمد الشريف، 1996، ص133، 134) .

وللمقابلة عيوب تؤثِّر عليها كأداة لجمع البيانات والمعلومات أبرزها ما يأتي:

- تتأثر بعوامل متعددة كتوتر المستجوب أو محاولته إرضاء الباحث أو محاولة الباحث الضغط عليه.
- إنَّ نجاحها يعتمد على حدٍّ كبير على رغبة المستجيب في التعاون وإعطاء معلومات موثوقة دقيقة.
- إنَّها تتأثَّر بالحالة النفسيَّة وبعوامل أخرى تؤثِّر على الشخص الذي يجري المقابلة أو على المستجيب أو عليهما معاً، وبالتالي فإنَّ احتمال التحيُّز الشخصيّ مرتفع جدّاً في البيانات.
- إنَّها تتأثَّر بحرص المستجيب على نفسه وبرغبته بأن يظهرَ بمظهر إيجابيٍّ، وبدوافعه أن يستعدي أو يرضي الشخصَ الذي يجري المقابلة، فقد يلوِّن بعضُ المستجيبين الحقائق التي يفصحون عنها بالشكل الذي يظنُّونه سليماً.
- التأثر بشخصية المقابل(**مروان عبد المجيد إبراهيم، 2000 ص173، 174**).

خاتمة

في الأخير يمكن الخروج بالنتائج التالية:

- فتحت الرواية الشفوية أبوابا جديدة أمام المؤرخين وخاصة التاريخ الاجتماعي حيث اهتمت بطبقات اجتماعية مهمشة.
- الرواية الشفوية متممة ومكملة للوثائق التاريخية.
- تساهم الرواية الشفوية في سد فراغ الوثائق الضائعة والمتلفة أو المنعدمة.
- يجب مراعاة الدقة والحذر عند استخدام الرواية الشفوية في عملية البحث.
- يحبذ دراسة الرواة أنفسهم من حيث درجة الثقة والمصداقية.
- الالتزام بشروط وضوابط الرواية الشفوية.
- تفعيل دور الجامعات والمؤسسات في تشجيع التاريخ الشفوي.

المصادر والمراجع

- أحمد شلبي: (1992). كيف تكتب بحثا أو رسالة، ط21، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- أسامة محمد أبو نحل: (2006). الرواية الشفوية في الرسائل العلمية الخاصة بتاريخ فلسطين المعاصر: دراسة تحليلية، مؤتمر التاريخ الشفوي، غزة: الجامعة الإسلامية.
- أمنية عامر: (2005). (التاريخ الشفهي: تاريخ يغفله التاريخ)، cybrarians journal، ع 05.
- جودت عزت عطوي: (2009). أساليب البحث العلمي (مفاهيمه، أدواته، طرفه الإحصائية)، ط01، عمان: دار الثقافة.
- حسام هاب: (2014). (التاريخ الشفوي: تاريخ من لا تاريخ له)، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الدراسات الدينية.
- ربحي مصطفى عليان، عثمان محمد غنيم: (1977). مناهج وأساليب البحث العلمي النظرية والتطبيق، ط01، عمان، الأردن: دار صفاء للنشر والتوزيع.
- صلاح هنية: (2006). (التاريخ الشفوي... رواية ذاكرة حية).
- عبد الحميد جمال الفراني وناهض محمود إبراهيم محسن: (2007). (دور التاريخ الشفوي في توثيق ملفات القضية الفلسطينية الرواية الشفهية عند يزيد صايغ في كتابه: الكفاح المسلح، والبحث عن الدولة، (الحركة الوطنية الفلسطينية 1949-1993م، دراسة تحليلية.
- عبد الرحمان بدوي: (1977). مناهج البحث العلمي، ط03، الكويت: وكالة المطبوعات.
- عبد الله بن إبراهيم العسكر: (2007). (أهمية تدوين التاريخ الشفهي)، مجلة الدرعية، ع 39، 40
- عبد الله بن إبراهيم العسكر: (أهمية تدوين التراث الشفاهي كمصدر تاريخي)، كلية الآداب، قسم

التاريخ، جامعة الملك سعود.

- عبد الله محمد الشريف: (1996). مناهج البحث العلمي، الإسكندرية: مكتبة الشعاع.
- عدنان أحمد أبو شبيكة: (2010). (لغة الرواية في التاريخ الشفوي الفلسطيني بين الفصحى والعامية)، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع21.
- عدنان أحمد أبو شبيكة: منهج نقد الوثيقة الرسمية المدونة وإمكانية التطبيق على الرواية في التاريخ الشفوي.
- مجموعة مؤلفين: (2015). التاريخ الشفوي، ط01، مج02، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- محمد حبيدة: (2013). التاريخ الشفهي، كتابة التاريخ: قراءات وتأويلات، ط01، المملكة المغربية: دار أبي رقراق للطباعة والنشر.
- محمد عبد العال النعيمي وآخرون: (2009). طرق ومناهج البحث العلمي، ط01، مصر: الوراق للنشر والتوزيع.
- محمد عبد الفتاح حافظ الصيرفي: (د.ت). البحث العلمي الدليل التطبيقي للباحثين، ط01، عمان، الأردن: دار وائل للنشر.
- محمد مجاود: (2012). (أهمية المنهج الشفوي في الكتابات التاريخية)، الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، ع. خ.
- مروان عبد المجيد إبراهيم: (2000). أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية، ط01، عمان، الأردن: مؤسسة الوراق.
- ناهد حمدي أحمد: (2001). (المصادر الشفوية والأرشيف)، الربية 3000، العدد 03.
- يوسف أحمد الحسن: (د.ت). التاريخ الشفهي تاريخ المسحوقين.